حروب فى إيران وتشاد وسلام على فلسطين

محمود عبد المنعم مراد

الحدث

وصلت الأحوال بالعالم العربى إلى الدرك الأسفل . ومؤشرات هذا الاحباط والفشل والعبث كثيرة . من بينها ذلك المؤتمر الذى عقد فى عمان فى الأسبوع الأخير ، وما صاحبه من انقسام فى الرأى بين الأخوة الأعداء ، الحاضرين والغائبين جميعا ، وما صدر عنه من قرارات لا تقدم ولا تؤخر ، ولا تذكر بكلمة واحدة فى سجل التاريخ ، وكانوا قد اجتمعوا ضد مصر ، بعد أن قامت بمبادرة السلام ، وتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد ، وقالوا انهم يريدون الصمود والتصدى . الصمود أمام إسرائيل والتصدى لها ، وبعد أعوام تبين أنهم لم يصمدوا ولم يتصدوا ، ولم يشاركوا مصر فى الطريق الذى اختارته لاسترداد حقوق الفلسطينيين . بل كل ما فعلوه أنهم استفادوا من رفع أسعار النفط ، والحصول على موارد مالية ضخمة ، سرعان ما أخذوا يبددونها فى قضايا أخرى ، لا تمت إلى تحرير فلسطين بصلة من قريب أو بعيد .

ان عشرات التيارات من الدولارات ، ضاعت هباء وحسفا فى حرب أشعلها العراق ضد إيران ، ولا يعلم أحد بعد مرور شهرين ، كيف ومتى تنتهى هذه الحرب ، وان كانت الدلائل بدأت تشير إلى أن الإيرانيين يلحقون بالعراقيين خسائر كبيرة ، ويبددون أحلامهم فى احراز نصر .

وعشرات أخرى يلقيها الأن مصير الفشل فى حرب عبثية بشعا فى تشاد . ورغم احتجاج منظمة الدول الأفريقية على هذا التدخل غير المشروع فى شئون دولة افريقية أخرى ، فلا يزال الجنود الليبيون يدفع بالألوف من الليبيين وغير الليبيين من المرتزقة الذين يجندهم من مختلف الأنحاء ، يدفع بهم فى أتون حرب لا شأن له بها ، ولا حق له فى الاشتراك فيها . وكل يوم يشير اعلانات فى مختلف صحف العالم ، يطلب متطوعين من الطيارين والفنيين ، يشتركون معه فى القيام بمغامرات جوية ، تفتح الباب أمام تدخل قوى أجنبية فى شئون القارة الأفريقية . ولا يحق منها الشعب الليبى سوى سفك دماء أبنائه ، وضياع أمواله .

وفى لبنان تراقب عشرات الألوف من الجنود السوريين تحت راية الصاعقة ، قوات الردع العربية ، وهى لا تردع أحدا ، لا إسرائيل ، ولا اللبنانى المتنفذ سعد حداد الذى تؤازره اسرائيل ، ولا حرب الكتائب الذى يملى إرادته فوق أرض لبنان ، ويقسمها إلى شطرين غير آبه بأحد . ومع ذلك تتقاضى قوات الردع السورية نفقات احتلالها للبنان من دول النفط العربية الخاضعة للسكية .

هذه هى البطولات العربية التى حققوها بعد مبادرة السلام المصرية . وهذه هى القضايا التى يشغلون أنفسهم بها . ويشوهنا عن بالتقصير والخيانة ، عبالة الشعب الفلسطينى ، وحقه فى تقرير مصيره .

فهل أشعل صدام حسين نيران الحرب فى إيران ، نصرة لقضية فلسطين ؟ وهل يشعل الجنود نيران الحرب فى تشاد ، خدمة لأهل فلسطين ؟ وهل تحتل الجيوش السورية أرض لبنان ، حفاظا على حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم ؟ وهل أصدر مؤتمر القمة الذى عقدوه فى عمان ، تحت رعاية الملك حسين ، عن الخط عمل يهدف إلى رد حقوق الفلسطينيين ؟

اللهم انه عبث فى عبث ، وضياع وخبط ، واهدار للدماء والأموال ، لا يستفيد منه إلا أعداء العروبة والإسلام .

ومصر الصامدة لتهجماتهم ومقاطعاتهم واتهاماتهم ، ماضية فى طريقها ، تحرر أرضها وتستعيد مواردها ، وتعمل بكل طاقتها على استرداد الحقوق الفلسطينية ، واحراز تقدم عالمى واسع بهذه الحقوق .

ورغم تهديدهم وأسرافهم وطقاتهم فى حروب لا تخدم أية قضية ، ولا تتعلق من قريب أو بعيد بالقضية الأولى ، ولب النزاع فى الشرق الأوسط ، ألا وهى قضية فلسطين !

ومن العجيب أن ذلك كله يجرى أمام أعين قادة المقاومة الفلسطينية ، الذين لا يستطيعون أن يجدوا لهم موقفا ، أو يتخذوا خطوة على الطريق الصحيح . بل انهم عاجزون تماما عن الاحتفاظ بتوازنهم أمام الكم المتصارع داخل الصفوة العربية ، وغير قادرين على انتاج خط واضح بعيد عن مغريات العروات المالية والضغوط المتزايدة من مختلف الفرق والمحاور ، بالإضافة إلى ما بين هؤلاء القادة بعضهم وبعض من خلافات واتصالات متباينة .

وهكذا تبدو الصورة قاتمة حالكة السواد . ويبدو للمتفائل مجهولا غامضا مادامت الشعوب العربية قد أسلمت قيادها لمن لا يطيقون إلا شهوات الزعامة الزائفة والتسلط والغرور .

الضيف العظيم

زارنا فى الأسبوع الماضى ، الرئيس ليوبولد سنجور ، رئيس دولة السنغال

وقد وصفه الرئيس السادات عند توديعه له بأنه الأفريقى الكبير ، الذى يتصف بالحكمة والسياسة والثقافة العالية ، وهو وصف صادق لا مجاملة أو مبالغة فيه

وقد ولد الرئيس سنجور فى ٩ أكتوبر سنة ١٩٠٦ ، أى أنه يجاوز الآن الرابعة والسبعين . وقد التقى تعليمه فى مدرسة الليسيه بداكار ، وواصله فى جامعة باريس حيث تخصص فى الأدب والكلاسيكيات . وقام بتدريسها فى مدرسة ليسيه وبكارت بضاحية نوى الفرنسية فيما بين عامى ١٩٣٥ و ١٩٤٤ . ثم أمضى أربع سنوات يشغل بالتدريس فى معاهد باريس ، وعندما كانت بلاده لاتزال ضمن المستعمرات الفرنسية ، انتخب عضوا بالجمعية الوطنية الفرنسية أى مجلس النواب الفرنسى ، عن السنغال ، وظل عضوا بها لمدة ١٢ عاما ، من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٨ .

وعين أستاذا فى احدى الكليات الفرنسية فيما بين عامى ١٩٤٨ و ١٩٥٨ . ثم اختير عضوا بالجمعية الاستشارية للمجلس الأوروبى ، ورئيسا للجمعية الفدرالية التى تضم مالى والسنغال والسودان عام ١٩٥٩ . وفى سنة ١٩٦٠ أصبح رئيسا لجمهورية السنغال ، وسكرتيرا عاما للاتحاد السنغالى التقدمى الحاكم ، الذى سمى بعد ذلك فى عام ١٩٧٧ بالحزب الاشتراكى السنغالى .

وقد حصل ليوبولد سنجور على جائزة السلام عام ١٩٦٥ ، وعلى جائزة السلام من العالم العاشرين الألمان فى فرانكفورت ، وجائزة معهد عبلاسلامى للأبحاث الأفريقية عام ١٩٧٣ . وبعدها بعام فاز بجائزة أبولو فى الشعر . وهو الذى نشر عديدا من دواوين الشعر باللغة الفرنسية ، التى ترجم بعضها إلى اللغة العربية . ويعتبر سنجور من أكبر المتخصصين فى اللغة الفرنسية ، ومن أبرز الشعراء الذين كتبوا بهذه اللغة .

كما أن له اهتمامات بالغة بالأدب والثقافة الأفريقية ، وله فيها أبحاث عديدة ، وكتب منشورة تعتبر من الأعمال الرائدة فى هذا الميدان .

انه رجل أفريقى متواضع ، وعالم مثقف ، ورياضى محنك صائب الرأى ، وشاعر مرهف الحس ، تعتز به القارة الأفريقية ، ويتخذ منه الأفريقيون مثلا يحتذى فى بلوغ قمة الثقافة الأوربية ، رغم خروجه من القارة السوداء !

وضيف من كندا

وفى خلال زيارة الرئيس سنجور للقاهرة ، وصلنا الضيف الكندى ، بيير ايليوت ترودو ، رئيس الوزراء . وكندا دولة شاسعة المساحة ، قليلة السكان ، يهاجر إليها كثير من المصريين والعرب الأخرى . وكانت مركزا للصراع الاستعمارى بين فرنسا وبريطانيا خلال القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، انتهى الأمر بانضمامها إلى الامبراطورية البريطانية بمعاهدة باريس عام ١٧٦٣ . ويتحدث أهلها الفرنسية والإنجليزية ، الذين يتشبها رئيس الوزراء الحالى ، الذى جمع بين الثقافات الفرنسية والإنجليزية والأمريكية ، وفق العلم فى جامعاتها المختلفة .

وقد ولد ترودو فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٩ ، فى مونتريال ، حيث التقى العلم فيها على أيدى الراهبات فى جامعتها وتخرج فيها . ولم يكتف بتعليمه العالى هناك ، فالتحق بجامعة هارفارد الأمريكية ، وجامعة باريس فى فرنسا ، ومدرسة لندن للعلوم الاقتصادية . وهى من أهم المعاهد العلمية فى انجلترا . وهكذا جمع العلم من أطراف العالم المتعددة ، وبدأ حياته بالمحاماة فى عام ١٩٤٣ . وأصدر هو وبعض أصدقائه مجلة باسم

ليوبولد سنجور

بيير ترودو

انديرا غاندي

سيدة حداد

الشتية الحرة . ثم عين أستاذا مساعدا للقانون في جامعة مونتريال سنة ١٩٦١ . وانتخب عضوا بمجلس العموم الكندي عام ١٩٦٥ وفي العام التالي أصبح سكرتيرا برلمانيا لرئيس الوزراء . ثم عين في عام ١٩٦٧ وزيرا للعدل . وبعد ذلك بعام أصبح وزيرا لشؤون الأحوال الكندي . ثم رئيسا للوزراء منذ عام ١٩٦٨

وقد نشر سيمو تريدو كثيرا من الكتب والأبحاث السياسية . التي تناول فيها المشكلة الكندية الأولى . وهي العلاقات بين المقاطعة الفرنسية والمقاطعات الإنجليزية . وعلاقة الزعماء الفرنسيين الأصل بحكومة فرنسا . وقد بدا ممكنا من الكتب والبحوث في المؤتمر الصحفي الذي عقده عقب اجتماعه بالرئيس السادات والرئيس سنجور . حيث كان يرد على الصحفيين تارة بالإنجليزية وتارة بالفرنسية . وفقا لأسئلة السائلين من الصحفيين الأجانب . ولم يبد الطيف الكندي أن يخلي تراثه السياسية أو يحقها بخلاف من الشقاق أو الجفاء . بل أعلن ببساطة وصراحة أن بلاده صديقة للدولة إسرائيل . وكنا يذكر الزوبعة التي أثيرت منذ شهور . عندما أرادت كندا أن تنقل سفارتها في إسرائيل من تل أبيب إلى القدس . ولكنها اضطرت بعد ضغوط مستمرة مكثفة أن تعدل عن هذا القرار . ولعل زيارته الأخيرة لمصر والسعودية تكون قد أعدته لخلق الوضع في الشرق الأوسط . وأسباب النزاع بين العرب وإسرائيل . وليس من يأس أن يستقبل الأصدقاء والمحايدين والمعارضين على السواء . فالمهم الصحيح للقضايا كفيل بإحداث قدر من التغير في سياسات الدول البعيدة عن منطقة النزاع . ولعل الأعوام الأخيرة تدلنا على ما يمكن لخليفة من تأييد للقضايا في المجتمع الدولي . بالمقابلات والزيارات وتبادل وجهات النظر على مختلف المستويات

العالم إلى أين ؟

من الناحية الاقتصادية تكثر وأسأل إلى أين نسير ؟ فالظاهرة الجديدة التي طرأت على عالم ما بعد حرب أكتوبر . وارتفاع أسعار البترول . حيث زاد الجبل منه من ثلاثة دولارات إلى ثلاثة وثلاثين أو أكثر . ومنت في ركاب هذه الزيادة جميع السلع الأخرى . ترتفع يوما بعد يوم . هذه الظاهرة لم تخطر على بال الاقتصاديين من قبل . إذ كانوا يقولون ان ارتفاع الأسعار يتمشى مع الرواج ووفرة الانتاج . ثم تأتي فترة الكساد وأزمة وبطالة وانخفاض في الأسعار . وهي ما يسمونه بالدورة الاقتصادية .

ولكن الجديد الآن . هو أن ارتفاع الأسعار المتزايد والمستمر يشكل جنوني . تصحبه بطالة في معظم دول العالم الصناعية . وأزمة في الإنتاج . بينما تزيد مشكلات التضخم . فإلى أين نحن سائرون ؟

وإذا كانت الدول الصناعية الكبرى تشكو الآن من التضخم وارتفاع الأسعار . فما بال الدول الصغرى التي لم يمس الله عليها بالنفط ؟ كيف تعيش ؟ . وكيف تشتري حاجاتها من السلع المصنعة ؟ لقد زادت الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة . وخلقت المؤثرات وكشت الأبحاث في معالجة هذه المشكلة . والحد من الفروق الشاسعة بين الشمال والجنوب . أو بين الدول الصناعية المصدرة . والدول النامية المستوردة . ولكن ذهبت جميع الأبحاث والمناقشات أدراج الرياح . وقال الجميع لابد من نظام اقتصادي جديد . وإلا عمت الفوضى وتفاقمت المشكلات . وأصبح من العسير على العالم أن يسير هكذا بخبط .

ونحن نسمع عن الدول الغنية الصناعية كاليابان وألمانيا الغربية والولايات المتحدة . وما تحققه من أرباح . وما تكنزه من ثروات ضخمة . وفي ثنايا هذه الأحاديث نسمع أن بعض هذه الدول الكبرى تسعى للحصول على فوائض لموازين مدفوعاتها . وهي تجد بطبيعة الحال إلى الدول المصدرة للبترول . ففي التي تملك أرصدة خرافية لا تعرف كيف تستثمرها .

فإن بريطانيا أزمة اقتصادية تهدد حكومة تاتشر . وفي الولايات المتحدة تضخم ريغان في المعركة الانتخابية على وعوده بتدارك الأزمة . وحل مشكلة البطالة . وتخفيض الضرائب . وفي إيطاليا أزمة طاحنة . وفيل أن ألمانيا الغربية تطلب قروضا من الخارج . وهكذا أصبح العالم كله يعاني من الأزمة الاقتصادية . ومع ذلك فالأسعار ترتفع وتتصاعد . ولا يعلم أحد كيف تقف عند حد .

وشكونا في مصر من ارتفاع الأسعار . أقل بكثير من شكاوى غيرنا . ونحن جزء من كل يعاني مشكلة حقيقية عبء الحل . وظاهرة جديدة على الاقتصاد العالمي لم يسبق لها مثيل . والأمل أن البشرية لن تعجز عن الحل في الحياة . وأن العقل الإنساني كفيل بأن يجاز الصعاب ويدبر شؤونه ليواصل مسيرته .

ولكن متى وكيف ؟ الله أعلم . ويبالغ خبراء الاقتصاد عندما يقولون لنا بعض الشروح التي تطمئن الناس على مستقبل حياتهم المظلم

السفور والحجاب

كنا نعود إلى الوراء خمسين أو ستين عاما . عندما تحدثت في مثل هذا الموضوع . ورحم الله قاسم أمين الذي قاد الحملة على حجاب النساء . ولقي ما لقي في سبيل دعوته . ولكننا الآن نشهد صورا من الحجاب أشد وأقسى مما كانت عليه الحال أيام أسلافنا وجداتنا

في بعض الأحيان نشاهد في الطريق آنسة أو سيدة لا يمكن أن نرى من وجهها ملمحا . ولا حتى أطراف أصابعها . وليست أستريح ذلك ولا أنكره . ولا دخل لي فيما تفعله بعض آنساتنا وسيداتنا في هذا المجال . فكثير مني حرة في أن تخلع أو تبدي من وجهها أو بدنها ما تشاء . وليست من رجال الدين المتخصصين في الفقه والشريعة السمحاء . لأفتي فيما هو حرام أو حلال . ولكني فيحسب الطن القارئ ما رواه لي أحد أصدقائي عندما جاء يشكو لي من زوجته وتصرفاتها الفاضحة معه . فقد ذكر لي أنها في الفترة الأخيرة . دأبت على أن تلبس الثياب الضيقة الملاصقة للأرض . وتغطي رأسها ومعظم وجهها . وتطيل الركوع والسجود . وتثير من رؤية الرجال أو مخالطتهم . ومنهم زوجها نفسه . رغم أنها عرفة جامعة ومؤهلة بالحكومة . وقد أعربت لي عن دهشته مما أصاب زوجته من تغير لا يعلم سببا له . ولم أجد في استطاعتي أن أرد على تساؤلاته . ولا أن أشير عليه بمشورة ما

وقبل ذلك كنت أعرف صديقا لي . يحتم عليه عمله أن يلبي دعوات الناس إلى حفلات التعارف والاستقبال وما إلى ذلك مما يعرفه رجال الأعمال . وخاصة المتصلين منهم بالأجانب وكان بحكم وظيفته يضطر إلى حضور هذه الحفلات والمناسبات مع زوجته . أسوة بما هو متبع مع غيره من أصحاب الوظائف المشابهة . وفجأة وجد زوجته تصر على الحجاب الكامل . ورفض اصطحابه إلى هذه الحفلات والزيارات . وأصبح هو في موقف حرج . وحاول أن يثنيها عن عزمها مستعينا بأهلها . ولكن جهودهم جميعا باءت بالفشل . وأصرت على الحجاب وعدم مغادرة المنزل . وأخيرا اضطر أن يجيبها إلى ما تريد كما كانت على سجيتها الأولى . أو يتم الانفصال بين الطرفين . فاختارت الحل الثاني . وتركت له منزله وأولادها وذهبت إلى منزل أهلها غير نادمة على هذا الانفصال .

وكثير من مثل هذه الحالات نعرض علينا ونسمعها ونشاهدها ونشارك في مناقشتها . دون أن نصل إلى قرار . ومن البديهي أن أسباب هذا التحول في بعض آنساتنا وسيداتنا المحجبات . ليس مردوه إلى نزعة دينية خالصة . ولابد أن هناك دوافع نفسية أو اجتماعية كامنة وراء هذه الظاهرة . وهي كفيلة بأن تدرس من المختصين . لا بغرض فرض قانون ملزم بالحجاب أو بالسفور . ولكن للعلم بالشيء الذي هو خير من الجهل به .

والحمد لله الذي لم يجعلني أصادف مشكلة كهذه . لأني لا أعرف كيف أعالجها . كان الله في عون الذاكرين منا . وهداهم إلى سواء السبيل !